

وَمَثَلَ بَبَابَ الْخِيْمَةِ حَرَسِيٍّ يَدْعُوهُ إِلَى لِقَاءِ الْأَمِيرِ، كَشَأْنُهُ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْذُ عَامٍ وَبَعْضِ عَامٍ، وَكَانَتِ الْجَوْهَرَةُ وَالْقِلَادَةُ فِي مِثْلِ مَكَانَهُمَا الْآنَ مِنْ يَدِهِ، وَلَكِنَّهُ الْيَوْمَ غَيْرُ غَافِلٍ عَنْهُمَا ...

- لَأَيُّ أَمْرٍ يَدْعُونِي الْأَمِيرُ يَا حَرَسِي؟

- لَا عِلْمَ لِي!

- أَفِي خِيَمَتِهِ هُوَ أَمَّ فِي الْمِيدَانِ؟

- فِي خِيَمَتِهِ.

- وَفِي خُلُوةٍ هُوَ أَمَّ مَعَهُ أَحَدٌ؟

- لَا عِلْمَ لِي.

- تُخَادِعُنِي عَنْ نَفْسِي يَا حَرَسِي!

- لَيْسَ لِي مَأْرَبٌ.

- فَحَدِّثْنِي إِذْنٌ بِمَا تَعْرِفُ ...

- لَسْتُ أَعْرِفُ شَيْئًا.

- إِذْنٌ فَهُوَ الْمَوْتُ؟

- لَا عِلْمَ لِي.

- وَبَسِيفِكَ أَوْ بِسِيفِ غَيْرِكَ؟

- لَا سِيفَ لِي.

- تَبًّا لَكَ.

- غَفَرَ اللَّهُ لَكَ.

وَجَالَتِ الدَّمُوعُ فِي عَيْنِي عَتِيْبَةً تَائُثَرًا وَرِقَّةً، فَقَالَ وَأَنْفَاسَهُ تَخْتَلِجُ: سَامَحْنِي فِيمَا اعْتَدَيْتُ يَا صَاحِبِي.

ثُمَّ صَحْبَهُ مُسْتَسْلِمًا، وَقَدْ اَزْدَحَمَتْ فِي رَأْسِهِ صُورُ الْمَاضِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ...
وَكَانَ الشَّيْخُ الرُّومِيُّ فِي خِيَمَةِ الْأَمِيرِ، وَقَدْ وَقَفَ إِلَى جَانِبِهِ عَرَبِيَّانِ كَهْلَانِ فِي زِيٍّ مُنْكَرٍ ...

وَتَابَتِ نَفْسُ عَتِيْبَةٍ حِينَ رَأَى غَرِيمَهُ؛ رُومِيٌّ وَفِيَّ بَذَمَتَهُ! قَدْ أَفْلَتَ رَأْسُ عَتِيْبَةٍ إِذْنٌ مِنْ سِيفِ الْجَلَادِ، وَأَفْلَتَ رَأْسُ الرُّومِيِّ الشَّيْخِ، هَذَا الْعَرَبِيَّانِ قَدْ وَهَبَا لَهُ الْحَيَاةَ، وَلَعَلَّهُ كَانَ يَسُومُهُمَا الْخَسْفَ فِي أَسْرِهِ، وَلَكِنَّهُمَا الْآنَ بَحِيْثٌ لَا يَمْلُكَانِ إِلَّا أَنْ يَفْتَدِيَاهُ مِنَ الْمَوْتِ، رَضِيًّا أَوْ كَرْهًا ...